مجلة

بينات

فصلية
تصدر عن
رابطة علماء المسلمين

رابطة علماء المسلمين

شعبان ١٤٤١هـ ::: أبريل ٢٠٢٠م

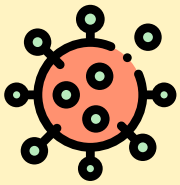

عدد خاص
بنازلة (كورونا)

كورونا ..
وكشف الحقائق!

- أثـــر الذنـــوب في هلاك الأمم والشعوب
- دروس (كورونا) العقدية

بسم الله الرحمن الرحيم

بينات

رؤيـــة المجلـــة:

تشـكيل وعي المسـلم في القضايا المعاصرة.

رسالـــة المجلـــة:

مجلـة تحقـق تأصيـل العلـوم الشرعيـة في المجـالات كافـة، وإعطـاء الرؤيـة الشرعيـة حول أوضـاع المسـلمين.

عـــن المجلـــة:

- هـي مجلـة دورية ربعيـة تصدر عـن (رابطـة علـماء المسـلمين)، وتهتـم بالقضايـا الشرعيـة والفكريـة والعلـوم الإنسـانية، ورصـد وتحليـل واسـتشراف مسـتقبل المسـلمين حـول العالم.

- مجلـة عالميـة تنتهـج منهج أهل السـنة والجماعة بعيداً عـن الغلو والتفريط.

- تخاطـب الدعـاة والعلـماء والمثقفـين والمفكريـن المهتمـين بنهضـة الأمـة وريادتهـا، وتحـث الهمـم وتحـرك القلـوب وتبعـث الطاقـات لمصلحـة الأمـة، وتحـرص عـلى بنـاء الأمـة عـلى العقيدة السـليمة والمنهج القويم ليفقـه واقعـه ويبنـي مواقفه على تأصيـل شرعـي قويـم.

bayyinatre@gmail.com

هيئـة التحرير

المشرف العـــام
الشيخ الدكتور محمد العبده

المستشـارون
د. حسن عباس
أ.د. حكمت الحريري
د. عادل الحمد
د. مراد القدسي
أ.د. محمد أمحزون
د. هشام برغش

سكرتير التحريـــر
م. محمد حسين

تصدر عن
رابطة علماء المسلمين

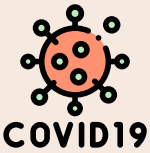

بيّنات

عدد خاص
بنازلة (كورونا)

في هـــذا العـــدد

سُنَّـــةُ المُدَاولَـة
كورونا
وتداعياته
نموذجاً

موضوعات العدد

الافتتاحية: كورونا .. وكشف الحقائق!
د. عادل حسن يوسف الحمد ٤

بيانٌ للناس
د. محمد يسري إبراهيم ٩

سُنَّـــةُ المُدَاولَـة: كورونا وتداعياته نموذجاً
أحمد أبو بكر الشامي ١٤

جمع مرويات: ((مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً))
عقيل بن محمد المقطري ٢٢

دروس (كورونا) العقدية
د. عدنان أمامة ٢٧

كورونا: ومنهجية الإنذار والتبشير وفتح باب الأمل العريض
د. هشام برغش ٣١

أثـــر الذنـــوب في هلاك الأمم والشعوب
الحسن بن علي الكتاني ٣٣

رابطة علماء المسلمين

الرؤية:

تكوين مرجعية عالمية راشدة لإحياء دور العلماء في نهضة الأمة المسلمة.

الرسالة:

تجمع علمي منظم من علماء المسلمين يساهم في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم؛ من خلال جمع طاقات العلماء، وتقديم حلول شرعية للقضايا المعاصرة وفق منهج أهل السنة والجماعة.

الأهداف:

(١) المساهمة في توحيد كلمة علماء الأمة وإبراز مكانتهم بين المسلمين.

(٢) استنباط الأحكام الشرعية للحوادث والنوازل وللقضايا المعاصرة، ورد الشبهات حول الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفق منهج علمي وبيان ذلك للمسلمين.

(٣) كشف المخططات المعادية للإسلام والتصدي لها بشتى الوسائل المشروعة.

(٤) تحذير الأمة وحمايتها من المناهج والعقائد المنحرفة والتيارات الهدامة وبيان موقف الإسلام منها.

(٥) التواصل مع الهيئات الرسمية والمؤسسات العلمية والدعوية والإعلامية والخيرية فيما يحقق نهضة الأمة.

alimerdernegi@gmail.com

كورونا .. وكشف الحقائق!

د. عادل حسن يوسف الحمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فقد ابتلي العالم اليوم بمرض (كورونا)، وهذا الابتلاء لا يخلو من فوائد كثيرة لمن تأملها وتفكر فيها، وفي هذا المقال القصير أحب أن أشير إلى بعض الحقائق التي كُشفت للناس بسبب هذا المرض.

من الحقائق التي كُشفت لنا: خوف الناس من الموت، مع أن الناس لا يستطيعون الفرار منه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. فهل هذا الخوف فطري؟

جاء في صحيح مسلم عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ))، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا إِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكْنَا، فَقَالَتْ: إِنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ))، وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَتْ: قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ، وَاقْشَعَرَّ الْجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ.

فكراهية الموت ومحبة الحياة أمر فطري في البشر، ولكن هناك سبب خفي في نفس المسلم يجعله يريد البقاء، لا لذات البقاء ولكن لعله يتوب مما هو فيه، أو يفعل

من الخيرات ما ينجيه يوم القيامة، وهذا السبب الخفي يدركه المسرف على نفسه، الراجي رحمة ربه، الذي يحمل في قلبه بذرة الخير، ولكنه لم يستغلها، فيعيش على أمل أن يتغير في يوم من الأيام ويعود إلى الله، فيكره الموت من أجل ذلك. فهذه فرصة للإنسان أن يكتشف حقيقة نفسه، وحقيقة كراهية الموت عنده.

هناك سبب آخر عند غير المسلمين وخاصة اليهود، وهو شدة تعلقهم بالحياة الدنيا، كما قال تعالى عنهم، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦]، وهؤلاء لا يرجون ما عند الله، ولا يؤمنون باليوم الآخر، فمتعتهم هي هذه الحياة الدنيا، لذلك تجدهم أحرص الناس على حياة، أي حياة كانت.

ومن الحقائق التي كُشفت لنا، حرص الناس على حماية أجسادهم من المرض. وهذا الحرص منه ما هو إيجابي، ومنه ما هو سلبي.

فكراهية الموت ومحبة الحياة أمر فطري في البشر، ولكن هناك سبب خفي في نفس المسلم يجعله يريد البقاء، لا لذات البقاء ولكن لعله يتوب مما هو فيه، أو يفعل من الخيرات ما ينجيه يوم القيامة.

أما الحرص الإيجابي فهو حماية الجسد بالأسباب المشروعة والمستطاعة مع عمق التوكل على الله، والإيمان بالقدر، والرضا بالقضاء، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه،

وما أخطأه لم يكن ليصيبه. فالإسلام أمرنا بالتداوي حال المرض، وشرع لنا أن نسأل الله العفو والعافية باستمرار، فجعلها من أذكار الصباح والمساء، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير.

أما الحرص السلبي، فهو الذي يوقع الإنسان في الوهم والوسواس والخوف الشديد والهلع، فهذه كافية لموته بها قبل أن يصيبه المرض.

ومن الحقائق التي كُشفت لنا: قدرتنا على تغيير نمط الحياة التي اعتدنا عليها، بل وتغيير العادات والتقاليد الاجتماعية التي تربينا عليها، وهي حجة علينا يوم القيامة، فلا يتعذر أحد بعد اليوم باستمراره في الباطل بأنه تعود عليه ولا يستطيع تركه.

ومن الحقائق التي كُشفت لنا: صدق ما قاله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، فامتثل الناس لأوامر الحكومات في بلدانهم، وتركوا ما هم عليه من الأعمال الصالحة والطالحة امتثالاً لأمرها.

ومن الحقائق التي كُشفت لنا: أن الحكام يستطيعون منع المنكرات في بلدانهم لو أرادوا، فقد أغلقوا الخمارات، والملاهي الليلية، والمراقص، ودور السينما، ومهدوا لهذا الإغلاق ببيان خطر المرض على صحة الناس، ثم مهدوا لهم بإغلاق المساجد، ثم أغلقوا مواطن المنكرات، وعللوا ذلك بحمايتهم من المرض.

أما الحرص السلبي، فهو الذي يوقع الإنسان في الوهم والوسواس والخوف الشديد والهلع، فهذه كافية لموته بها قبل أن يصيبه المرض..

وهذا الفعل منهم حُجَّة عليهم، ودليل قاطع على أن ترك المنكرات وتيسيرها للناس إنما هو نابع من رغبتهم في ذلك، فلم يخرج الناس في مظاهرات يطالبون بفتحها، ولم تحدث الفوضى، بل تقبلوا ذلك واستسلموا.

وسيعيش الناس بلا خمارات ولا ملاهي ليلية، ولا مراقص، فترة من الزمن، حتى ينجلي هذا الوباء، فلا تفسدوا في الأرض يا حكومات المسلمين بعد إصلاحها.

ومن الحقائق التي كُشفت لنا، أن من الناس من لا يزجره قول الله تعالى أو قول رسوله، إذا حذر من فعل المنكر، ولكن قد يتركه إذا تبين له خطر الفعل على صحته وجسده.

وإزالة المنكر بأي صورة مشروعة، مطلب شرعي ولو لم يكن عن إيمان وتقوى.

ومن الحقائق التي كُشفت لنا، أن الله يقدر لهذه الأمة الأقدار التي تقربها من النصر، ويجعل لها فرجا عندما تضيق بها السبل من حيث لا تحتسب. فهذا مرض فعل بالدول الأفاعيل؛

- فدول شُغلت بهذا المرض عن محاربة المسلمين.
- ودول حاصر المرض أكابر مجرميها وسجنهم في بيوتهم.
- ودول حطم اقتصادها.
- ودول أعمل القتل في جيوشها.
- ودول أوقفت منكراتها.
- ودول فرق بين شعبها وأشعل بينهم الفتن.
- ودول حاصرت نفسها، وقطعت مدنها.

وشغل كل أناس بأنفسهم.

لقد منع الله بهذا الوباء الطائرات من الطيران، وأغلق الأسواق المالية، وصرف الناس عن المجمعات والمصانع، وتعطلت حياة الناس في أيام معدودات، فسبحان مغير الأحوال!

ومن الحقائق التي كُشفت لنا: كيفية تعامل الناس مع الحدث، ومستويات الناس العقلية المتفاوتة، وطرق التفكير عند الناس، وطرق التعامل مع الأخبار ونقلها، وأخلاق الناس في الحدث. فمنهم عميق الفكرة، بعيد النظرة، متأني غير مستعجل، ومنهم السطحي في تفكيره، يخدعه كل خبر ويحدث بكل ما سمع.

ومن الناس من لا يرى في الحدث إلا الهلاك فهو يرعب الناس ويخوفهم، ومن الناس من يذكر بالله ويرشد الناس إلى طريق الهدى والرشاد.

وسيعيش الناس بلا خمارات ولا ملاهي ليلية، ولا مراقص، فترة من الزمن، حتى ينجلي هذا الوباء، فلا تفسدوا في الأرض يا حكومات المسلمين بعد إصلاحها..

ومن الحقائق التي كُشفت لنا: أن العالم يمكن أن تحكمه خلافة واحدة، تجعل على كل قطر والياً يأتمر بأمرها ويسير على تعاليمها، كما فعلت (منظمة الصحة العالمية) مع جميع دول العالم، وما هي إلا منظمة واحدة من منظمات (الأمم المتحدة)، الوجه الآخر لأمريكا في التحكم في العالم. فلا تستكثروا على المسلمين أن يفكروا في حكم العالم بحكم يرضي رب العالمين، ويحقق العدل في الناس، ويسخر إمكاناته في خدمتهم.

فلا تستكثروا على المسلمين أن يفكروا في حكم العالم بحكم يرضي رب العالمين، ويحقق العدل في الناس، ويسخر إمكاناته في خدمتهم.

أخيراً، أرجو من القارئ الكريم أن يتأمل هذه الآية المتعلقة بانفصال الأسرة كيف ختم الله عَزَّوَجَلَّ الآية بالأمل في عودتها إلى طبيعتها بعد الانفصال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق: ١].

قال سيد قطب (ت:١٣٨٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي لمسةٌ مُوحِيةٌ مؤثرة. فمن ذا الذي يعلم غيب الله وقدره المخبوء وراء أمره بالعدة، وأمره ببقاء المطلقات في بيوتهن؟ إنه يلوح هناك أمل، ويوصوص هناك رجاء. وقد يكون الخير كله. وقد تتغير الأحوال وتتبدل إلى هناءة ورضى. فقدر الله دائم الحركة، دائم التغيير، ودائم الأحداث. والتسليم لأمر الله أولى، والرعاية له أوفق، وتقواه ومراقبته فيها الخير يلوح هناك! والنفس البشرية قد تستغرقها اللحظة الحاضرة، وما فيها من أوضاع وملابسات، وقد تغلق عليها منافذ المستقبل، فتعيش في سجن اللحظة الحاضرة، وتشعر أنها سرمد، وأنها باقية، وأن ما فيها من أوضاع وأحوال سيرافقها ويطاردها.. وهذا سجن نفسي مغلق مفسد للأعصاب في كثير من الأحيان. وليست هذه هي الحقيقة. فقدر الله دائماً يعمل، ودائماً يغير، ودائماً يبدل، ودائماً ينشئ ما لا يجول في حسبان البشر من الأحوال والأوضاع. فرجٌ بعد ضيق. وعسرٌ بعد يسر. وبسطٌ بعد قبض. والله كل يوم هو في شأن، يبديه للخلق بعد أن كان عنهم في حجاب. ويريد الله أن تستقر هذه الحقيقة في نفوس البشر، ليظل تطلعهم إلى ما يُحدثه الله من الأمر متجدداً ودائماً. ولتظل أبواب الأمل في تغيير الأوضاع مفتوحة دائمة. ولتظل نفوسهم متحركة بالأمل، ندية بالرجاء، لا تغلق المنافذ ولا تعيش في سجن الحاضر. واللحظة التالية قد تحمل ما ليس في الحسبان، ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾» [في ظلال القرآن: ٦/ ٣٦٠٠].

بيانٌ للناس

د. محمد يسري إبراهيم

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده.

وبعد:

فقد استفاق العالم مُؤخَّراً على وباءٍ عامٍّ يسببه كائن مجهري دقيق، ما لبث بعد أن ظهر في بقعةٍ محدودةٍ من الصين أَنْ صار وباءً، ما ترك دولةً إلا دخلها، وبات العالم عاجزًا عن علاجه أو مواجهته!

وهذه وقفاتٌ مع هذا البلاء، وتأملات في حال الناس مع هذا الوباء:

❁ **أولاً:** يؤمن كلُّ مسلمٍ أن كل ما يجري في كون الله تعالى انما يقع بعلمه وأمره وقضائه وقدره، ومن وراء ذلك الحكمة البالغة، ولله على عباده الحُجَّة الدامغة، وليس فيما يقضيه الله شرٌّ من كل وجهٍ، وأنَّ ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الآجال مكتوبة، والأرزاق مقسومة، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، رُفِعَت الأقلام، وجفَّت الصحف.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨].

فما قَضَاه الله تعالى كائنٌ لا محالة، والجاهل مَنْ لام حالَه، والهلعُ والجزعُ والخوفُ الشديدُ ليس من أخلاق المؤمنين بالقضاء، المطمئنين إلى قول الله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: ١١].

❁ **ثانياً:** إنَّ البلاء والوباء قد يكون عقوبةً عامةً، وقد يكون عقوبةً لقومٍ، ورحمةً لقومٍ. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ﴾ [الرعد: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ((لم تَظْهرِ الفَاحِشةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا))[1].

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٨٦٢٣).

وأنَّه حين يبغي البشرُ بعضهم على بعض، فيستبيحون الدمَ والعِرْضَ، ويتعاونون على الإثم والعدوان، فينتهكون المقدَّسات، ولا يراعون الحرمات، ولا يخافون من ربِّ الأرض والسماوات، ويبلغون حدَّ الإجرام، فعند ذلك يأتي الانتقام!

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وإنَّ في شهود هذه الابتلاءات تمحيصاً لأهل الإيمان، وتحقيقاً للتوكُّل على الواحد الدَّيَّان، ومعرفة أنَّ أفعاله تعالى حكمةٌ كلها، عدلٌ كلها، رحمةٌ كلها.

أمَّا أهل الإيمان إذا حلَّ بهم البلاء، فإنهم يذكرون حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي، وَرَحْمَةٌ، ورِجْسٌ عَلَى الكَافِرِ))[1].

وفي الحديث: ((عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[2].

❁ **ثالثاً:** إنَّ البلاء العام إذا نزل بالأنام، فقد تأكَّد تجديدُ التوبة، والإقلاعُ عن الذنوب الظاهرة والباطنة، والتضرُّع إلى الله تعالى في الأوقات الفاضلة، والفزع إلى الاستغفار، وطلب العفو والعافية.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام: ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

«وإنَّ الهَلَكة كلَّ الهَلَكة أن تعمل عمل السوء في زمن البلاء»[3]، كما قال النُّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

❁ **رابعاً:** هناك حِكَمٌ وأحكامٌ قدريةٌ من وراء هذا الوباء يحسُنُ بالمؤمن أن يكون على ذُكر منها، ومن ذلك:

- أنَّ الله تعالى أقام بهذا الكائن المجهريِّ الدقيق برهانَ قدرتِهِ على عباده في عصرٍ افتتن فيه أكثر الخلق بقُوَّتهم، وتَمادَوْا في طغيانهم وبَغْيهم، وظنوا أنهمُ قادرون على الحياة الدنيا، فسلَّط الله هذا الذي لا يُرَى، وإنما تُعْرف آثارهُ الفتَّاكة، فيذلُّ رقاب الجبابرة، ولا تدفعه عن أنفسها الأباطرة! فهذا برهانُ عظمةِ اللهِ وقدرتِهِ، ونفاذ حُكمِهِ في عباده، وأنه لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّب لحُكمِهِ، سبحانه وجلَّ وعلا.
- وإنَّ في شهود هذه الابتلاءات تمحيصاً لأهل الإيمان، وتحقيقاً للتوكُّل على الواحد الدَّيَّان، ومعرفة أنَّ أفعاله تعالى حكمةٌ كلها، عدلٌ كلها، رحمةٌ كلها.

(١) أخرجه أحمد (٢٠٧٦٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤٦٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٨٦٩)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢٢٤٣).

• ومن ذلك: اليقين بأنَّ المرض لا يؤثر في الأبدان بنفسه، وإنما بأمرِ الله، وقد يتعرض الإنسان لأسبابٍ عاديةٍ، فلا يمرض، وقد يتحفظ منه بجهده فيمرض، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا عَدْوَى... وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ))(١).

وقال لَمَنْ ظنَّ العدوى: ((فَمَنْ أَعْدى الأَوَّلَ؟))(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ))(٣).

❁ **خامساً:** على العبد المؤمن أن يتَّخذ الأسباب المشروعة والمقدورة ليتجنَّب الإصابة بالمرض، وليس له أن يتوكَّل على الأسباب؛ فإنَّ ذلك شركٌ، وليس له أن يقدحَ فيها، أو يتركها بالكُليَّة؛ فإنَّ ذلك معصية.

على العبد المؤمن أن يتَّخذ الأسباب المشروعة والمقدورة ليتجنَّب الإصابة بالمرض، وليس له أن يتوكَّل على الأسباب؛ فإنَّ ذلك شركٌ، وليس له أن يقدحَ فيها، أو يتركها بالكُليَّة؛ فإنَّ ذلك معصية.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠).
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٧٠)، ومسلم (٢٢٢١).

وقد أمَر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعزل، والحَجر الصحي، وأمر بتَرْك مخالطة المجذوم؛ وجوباً أو استحباباً، وهكذا كل مَنْ قد يضرُّ بالإنسان مخالطتُه من المرضى.

وعلى المريض - أيضاً - أن يمتنعَ عمَّا فيه إلحاقُ الأذى بأحد من الخَلق إِذْ ((لَا ضَرَرَ، وَلَا ضِرَارَ))(٤)، فالاحتياطُ للنفس ليس بأولى من الاحتياط للغير، وقد تعوَّذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن يقترف على نفسه سوءًا، أو يجره إلى مسلم(٥).

ومن الأسباب الشَّرعيَّة: التحصُّن بالأذكار النبويَّة طرفي النهار، وعند النوم، وعند الخروج والدخول، واستعمال التعوُّذات النبوية؛ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالجُنُونِ،

(٤) أخرجه أحمد (٢٨٦٥)، وابن ماجه (٢٣٤٠).
(٥) أخرجه أحمد (٨١)، والترمذي (٣٥٢٩).

وَالجُذَامِ، وِمنْ سَيِّئِ الأَسَقَامِ))[1]، وكتعوُّذه من جَهد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء[2]، وغيرها من التعوُّذات النبوية.

وسائر الإجراءات التحفظيَّة بالابتعاد عن اماكن الازدحام؛ كالأسواق وغيرها.

وفي تعدُّد الجُمَع والجماعات، وتقليلِ أعدادِ المصلِّين في المساجد مندوحةٌ عن تعطيل الجُمَع والجماعات في البلد الواحد، والمساجدُ خيرُ البقاع، وأحبُّها إلى الله تعالى، وهي مُتنزَّلُ الرحمات، وموطنُ البركات، وعُمَّارها أهلُ الإيمان بالله من البشر والملائكة...

وعَبْر تاريخ الأمة الطويل لم يقع أن تَدَاعى الحُكَّامُ والعلماءُ إلى تعطيل المساجد عن الجُمَع والجَمَاعات لأجل الوباء!

وفي تعدُّد الجُمَع والجماعات، وتقليلِ أعدادِ المصلِّين في المساجد مندوحةٌ عن تعطيل الجُمَع والجماعات في البلد الواحد، والمساجدُ خيرُ البقاع، وأحبُّها إلى الله تعالى، وهي مُتنزَّلُ الرحمات، وموطنُ البركات، وعُمَّارها أهلُ الإيمان بالله من البشر والملائكة، والجمعةُ والجماعاتُ من شعائرِ الإسلامِ الظاهرةُ الواجبة المتواترة، والإجراءاتُ الاحترازيةُ من العدوى لا تبلغ أن تُعطِّل هذه الشعائرَ، وعَبْر تاريخ الأمة الطويل لم يقع أن تَدَاعى الحُكَّامُ والعلماءُ إلى تعطيل المساجد عن الجُمَع والجَمَاعات لأجل الوباء!

ومَنْ كان مريضاً، أو ظهرت عليه علامات الإصابة، فيَحْرُم عليه الذَّهاب إلى المساجد، ومَنْ كان ضعيفاً أو خائفاً، فله عذرٌ في التخلُّف عن الجمعة والجماعة، ولا يُكلِّف الله نفساً إلا وُسْعَها.

والجُمعةُ تنعقد بالثلاثة فمن فوقهم من المُصلِّين عند بعض أهل العلم، والجماعةُ تنعقد باثنين فمن فوقهما من المُصلِّين، فليُحَافَظْ على الجُمَع والجماعات حيث يُنادَى بها.

وليتَّخذ المسلمون أسبابهم الشرعية، وليتوكَّلوا على ربِّ البريَّة.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٠٠٤)، وأبو داود (١٥٥٤)، والنسائي في الكبرى (٧٨٧٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

صدى القراء

تعليقـــات متابعي المجلة الكرام وملاحظاتهم حول العدد السابق

جميلة جداً. ولو كان من إشارة لقلت تجعل أقساماً، وتجعل ضوابط لا تسمح بالتطويل، وتضاف فتاوى مختارة، كهيئة علمائية، وتختار بعض خلاصت التحليلات الرصينة بما يجعل منها أكثر جذباً وتشويقاً.

الخطوط جميلة، التصحيح مرتفع، الإخراج يمكن تطويره.

المجلة قد تحتاج أن تبقى علمائية فكرية خارج النسق التربوي مراعاة للهيئة، يمكن كتابة خلاصة في عمود في أول صفحة للمقالات الطويلة الدراسات الاستشرافية قد يكون لها موقع في المجلة، ويمكن صناعة أسماء جديدة.

النشر التقني يختلف عن النشر الورقي، وبالتالي فلا بد من إعطاء ذلك نظرة مقدرة.

محاور رئيسة للمجلة ضرورة.. تأصيل .. إفتاء، مقاصد، استشراف، حتى ننهض، ممكن تشويقاً .. تحت المجهر.

أعانكم الله وسددكم.. فرحت كثيراً بها.

د. فيصل البعداني - اليمن

جزاكم الله خيراً. قرأت المواضيع، وفيها فكر عميق ومفيد. أرجو التكرم بإرسال الأعداد، ولكم الفضل وجزيل الشكر, شكراً لكم.

من تايلاند

ما شاء الله تبارك الرحمن؛ لم أُنهِ قراءتها حتى اللَّحظة ولكن، بعيداً عن المواضيع المطروحة وللوهْلة الأولى شدَّني، ما لم أجده في كثير من الدوريات الجودة المُتناهية في الإخراج والأسلوب السهل المُمْتنع الجاذِب والمُشوِق.

بارك الله في الجهود، هيئة، مشرفين ومستشارين وسكرتير تحرير؛ {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} (التوبة:١٠٥).

ما شاء الله محتوى علمي دقيق. نسأل الله تعالى لكم دوام التوفيق.

هذه مجلة طيبة جداً ونافعة بلا جدل، أشكركم على هذه الهدية الغالية, شكراً لكم.

من نيجيريا

المجلة رائعة جداً وممتعة، وكل مواضيعها شيقة وجميلة، والأجمل فيها موضوع (وعند الله مكرهم للدكتور. عادل الحمد). شكراً لكم.

من اليمن

(الشكر موصول للقراء الكرام على آرائهم واهتماهم بتطوير وتحسين المجلة، ونؤكد لكم سعينا لاستيعاب مقترحاتكم وتنفيذها).

هيئة التحرير

سُنَّةُ المُدَاوَلَة
كورونا وتداعياته نموذجاً

أحمد أبو بكر الشامي

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

قال الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، نعم إنه قرح، وجوع، وهلع، وخوف، وحصار.

إنها ومضة من ومضات العدالة السماوية - التي أنكرها الكافرون، وتجاهلها المغفلون، وشكك بها قوم آخرون - تتجلى لبني الإنسان بأمثل صورها الملموسة المحسوسة لعله يزكى، أو لعله يضرع، أو لعله يقول لساناً أو حالاً: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾؟ أو ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾؟

يا أيها الناس، أتذكرون يوم حوصرت الغوطة الشرقية، وحمص، ومضايا، ومدن أخرى كثيرة من طائفة النحس النصيرية، عمود خيمة النظام العالمي في سوريا، ومرتكز الشرور والآثام في بلاد الشام المقدسة، وكنتم وقتها تسرحون وتمرحون وتفرحون من غير مبالاة، وكأن المحاصرين كائنات خالية من الأحاسيس والمشاعر لا تمتُّ لبني الإنسان بصلة، ولا تستوجب شفقة أو رحمة؟

يا أيها الناس، أتذكرون يوم أسهر الجوع أهل الشام، ومات من أطفالهم وشيوخهم من مات جوعاً وقهراً، وشبعتم فنمتم، وكأن ما يحدث لهم لا يعنيكم من قريب أو بعيد؟

يا جموع البشر المتكدسة كثرة، لا أظنكم نسيتم الأمن الذي كنتم تتغنَّوْن به يوم

خاف أهل سوريا من قصف الطائرات الروسية، وضرب المدافع الإيرانية، ونزول البراميل النصيرية المتفجرة، التي يلقيها عليهم ربيب النظام العالمي فتتناثر جثثهم، ويكوي بها جلودهم، بعد أن يهدم بيوتهم على رؤوسهم ويسويها بالأرض رماداً وغباراً! لا أظنكم عميتم عن أشلاء أهل السنة وهي تتطاير في الهواء كأنها العهن المنفوش! ولا منعكم الصمم عن سماع صراخ الأطفال، وآهات النساء، وعويل الأيامى، وأنين الجرحى! كل هذا حدث أمام ناظريكم، وبمباركة تامة سافرة حقيرة من مجلس أمنكم ودوله الخمس دائمة العضوية: أمريكا راعية الشر وأم الخبائث، وروسيا العجوز المتصابية، وفرنسا، وبريطانيا، والصين الشيوعية، ومن وراء الجميع دولة إسرائيل الصهيونية. لقد اجتمع العالم كله - أسياده وعبيده - على وأد ثورات الربيع العربي، وكان لثورة الشام أوفر السهام، وأقسى أنواع الطِّعان، وظنوا لوهلة غفلة أنهم وصلوا غايتهم، وأدركوا هدفهم، ونالوا طِلْبتهم.

يا جموع البشر المتكدسة كثرة، لا أظنكم نسيتم الأمن الذي كنتم تتغنَّوْن به يوم خاف أهل سوريا من قصف الطائرات الروسية، وضرب المدافع الإيرانية، ونزول البراميل النصيرية المتفجرة، التي يلقيها عليهم ربيب النظام العالمي فتتناثر جثثهم، ويكوي بها جلودهم، بعد أن يهدم بيوتهم على رؤوسهم ويسويها بالأرض رماداً وغباراً!

لقد كان بالأمس القريب يظن بعض الطغاة أنهم قادرون على الأرض والسماء وما فيهما، وكان يقول أنا من يَعُدُّ عليكم

أنفاسكم، أنا من يحيط بكم خبراً، أنا من يعطي ويمنع، أناً في السماء أقماراً صناعية، وفي الأرض جيوشاً وبنوكاً وأموالاً وأعمالاً، وفي البيوت أجهزة ذكية ترى وتسمع وتنقل، وثمة أجهزة أخرى عندنا تحلل وتضلل وتوجه وتقتل، وأفعل كل شيء، ولا يصدني أو يردني شيء، وأنتم شيء من الأشياء!

لقد كان هذا فحوى خطاب إنسان القرن الواحد والعشرين، وفي لحظة رهيبة أتت بغتة على غير موعد عاد هذا الإنسان إلى ما قبل التاريخ، فإذا به خائف محاصر مذعور يرجو الحياة ويخشى الموت، من ماذا؟ من جندي خفي من جنود الله، وما أكثر جنوده، في لحظة واحدة أوصدت كل أبواب الدول، فغدت لشعوبها سجوناً كبيرة تضيق عليهم يوماً بعد يوم، ثم أغلقت الدول بنوكها ومعاملها ودوائرها الرسمية وغير الرسمية، ثم أعلنت حظر تجوال، وفي كثير منها أوجب على الشعب الحجر المنزلي الإجباري، ونصحت الدول رعاياها أن يتباعد أفراد الأسرة الواحدة عن بعضهم إذا شكوا بإصابة أحد منهم، وهرع الناس في كثير من الدول إلى التزود من السلاح خوفاً من قادم الأيام إذا طالت مدة انتشار الوباء وحدة فتكه، وعنف أخذه، فقد تنتهي المؤن، ويشح الطعام والشراب والدواء، ويكثر السطو، وتشيع السرقات! نعم إنسان القرن الواحد والعشرين الذي اعتقد ذاته إلهاً من دون الله يخاف الآن من إنسان آخر، قرن الآلة والإنتاج والتحكم التكنولوجي والفتوحات العلمية الفائقة المذهلة، في لحظة واحدة انحط هذا الإنسان المتجبر المتغطرس إلى الحضيض من دناءة الأخلاق، وكل ما فيه أنانية وفردية وجشع واحتكار وعبادة للذات، يود لو أنه نجا بنفسه من هذا الوباء وهلك كل من في الأرض جميعاً، إنه معزول نفسياً عن بني جنسه، ولسان حاله يقول: أنا والطوفان من بعدي، أي مسخ هذا الذي أنتجته هذه الحضارة الغربية الموبوءة بالأفكار المتطرفة في تعريف الإنسان وبيان حدوده وأهدافه ومآله؟

هذا الإنسان المسخ هو نتاج مناهج فاسدة دست في عقله وروحه ونفسه الزيف والكذب في فهم نفسه ووجوده والكون من حوله، فجعلت اللذة والشهوة والشهرة والمنفعة والمصلحة هي الغاية من وجوده، ومحور حياته، وطوق نجاته!

هذا الإنسان المسخ هو نتاج مناهج فاسدة دست في عقله وروحه ونفسه الزيف والكذب في فهم نفسه ووجوده والكون من حوله، فجعلت اللذة والشهوة والشهرة والمنفعة والمصلحة هي الغاية من وجوده، ومحور حياته، وطوق نجاته، فإذا به الآن وقبيل فوات الأوان يكتشف أنه مفلس من كل شيء، مفلس من الدين أولاً، ومن إنسانيته ثانياً، ومن الطمأنينة ومن الأخلاق والقيم الرفيعة التي سمت به عن رتبة الحيوان ثالثاً، ومفلس من الدنيا التي لهث خلفها لأجل طغمة حاكمة باعته اليوم بأرخص الأثمان، لأنه شاخ في السن وصار عبئاً عليها ولم يعد مفيداً لها، وها نحن نرى ونسمع ما يجري في إيطاليا، وفي إسبانيا من تخلي الحكومات عن كبار السن والمتقاعدين فيها، فقد صار الأطباء هناك يختارون من المصابين من سيعيش ومن سيموت حسب سنه، وحسب قوة جهاز المناعة عنده، هذا وكثير من أمثاله ما تمخضت عنه حضارة الغرب في وقت العسرة، فكيف حال الذين انبهروا ممن صدعوا رؤوسنا طويلًا وهم يتحدثون عن الغرب وإنجازاته، وعن اهتمامه بالإنسان، وعن العدل الموجود في أروقة مؤسساته، ها هم اليوم يعجزون عن تأمين طبيب وسرير وجهاز تنفس ينعش الإنسان الذي أخذوا منه زهرة حياته ونصف راتبه الشهري ضرائب صحية وغير صحية، لقد اكتشف اليوم أنهم كانوا يسرقونه ويخدعونه.

لقد رأينا جيوش الظلم والقهر والاحتلال تنزل اليوم إلى عواصمها ومدنها الكبرى من أجل محاربة فيروس ميت لا يُرى بالعين المجردة، حُقَّ لأهل الشام أن يسخروا منكم؛ لأنهم جاعوا وخافوا وماتوا بسبب إنسان مجرم ظالم ملَّكتموه أمرهم، ويرى العالم كله جرائمه المتواصلة منذ تسع سنوات، أما أنتم فقد خفتم وفزعتم من كائن ميت لا حياة فيه، ولا يُرى، ولا ضجيج له ولا دوي، ولئن خاف أهل الشام من السلاح فقد خفتم من العطاس والرذاذ فيا لهوانكم!

إنكم اليوم جائعون هلعون فزعون، من مخلوق ميت مثل موات قلوبكم، هلا انتقمتم منه؟ أين هم أبطال هوليوود وبوليوود ونوليوود حتى يقضوا عليه ويخلصوا البشرية منه؟

أين هي جواسيسكم التي كانت تخبركم بالأمر قبل وقوعه كما ادعيتم؟ أين هي

عبقريتكم العلمية التي لا تعجز عن حل مشكلات هذه الأرض، وظننتم جهلاً وحمقا وغطرسة أنكم قادرون عليها؟

إن أوسع الناس خيالاً لم يكن يدور في خلده أن يهجر السكان في أوروبا المترفة المنعمة الآمنة أحيائهم الفاخرة ويغادروها إلى الأرياف والنجوع، لتصبح هاتيك المدن مرتعاً خصباً للماعز والغزلان والخيول.

من كان يتصور أن يُلقي الناس أموالهم من النوافذ إلى الأرصفة، لأنهم محجوزون في بيوتهم بالترغيب حيناً، وبالقوة والإرهاب حينا آخر، وقد أيقنوا بالموت فأرادوا لغيرهم من المارة أن يستفيد من هذه الأموال التي أنفقوا حياتهم لجمعها رجاء التنعم بها يوماً ما، وكانوا ينفقونها في وجوه شتى ومنها ما هو للصد عن سبيل الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٣٦]. نعم، لقد أنفقوها ثم رجعت حسرة عليهم، وقد غلبهم اليوم كائن ميت لا حياة فيه، أي قهر هذا الذي قهر الله به عباده؟!

كل إنسان في الوجود بات يرى من حوله وباء قد يكون سبباً في موته، فازورَّ الواحد عن الآخر، وصارت لغة العيون تُفصح عما يختلج في القلوب، وصرتَ تسمع توصيات ونواهيَ لأجل سلامتنا الدنيوية والصحية من رموز العلمانيين المعادين للدين، توصيات وتحذيرات كانوا بالأمس يستحقرون من يدعو إليها لأجل السلامة الأخروية، فالنساء وضعن لثاماً على وجوههن، ولم تعد المرأة تصافح رجلاً أجنبيا عنها، وترك الاختلاط بين الجنسين، وأغلقت الحانات وبيوت الخنا والملاهي، ودور القمار والميسر، كل هذا وغيره استجابة لنداء من لا يؤمنون بالله، ولقد دعا الله إلى كل هذا على لسان نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

لقد رأينا جيوش الظلم والقهر والاحتلال تنزل اليوم إلى عواصمها ومدنها الكبرى من أجل محاربة فيروس ميت لا يُرى بالعين المجردة، حُقَّ لأهل الشام أن يسخروا منكم؛ لأنهم جاعوا وخافوا وماتوا بسبب إنسان مجرم ظالم ملَّكتموه أمرهم!

الله أكبر، لقد قرأنا مئات المرات قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، فما كنا نتخيل أن تكون المداولة على هذا الوجه، وعلى هذه الكيفية التي جعلت حصار الشام، وخوف أهلها، وهلع أطفالها، وتوجس سكانها، لا يذكر أمام خوف سكان الأرض أجمعين، وحصارهم في بيوتهم مختارين مرة، ومجبرين أخرى، خوفاً من كائن ميت، لا لون له ولا طعم ولا رائحة، كل هذا حتى يجر الله عباده جراً إلى قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

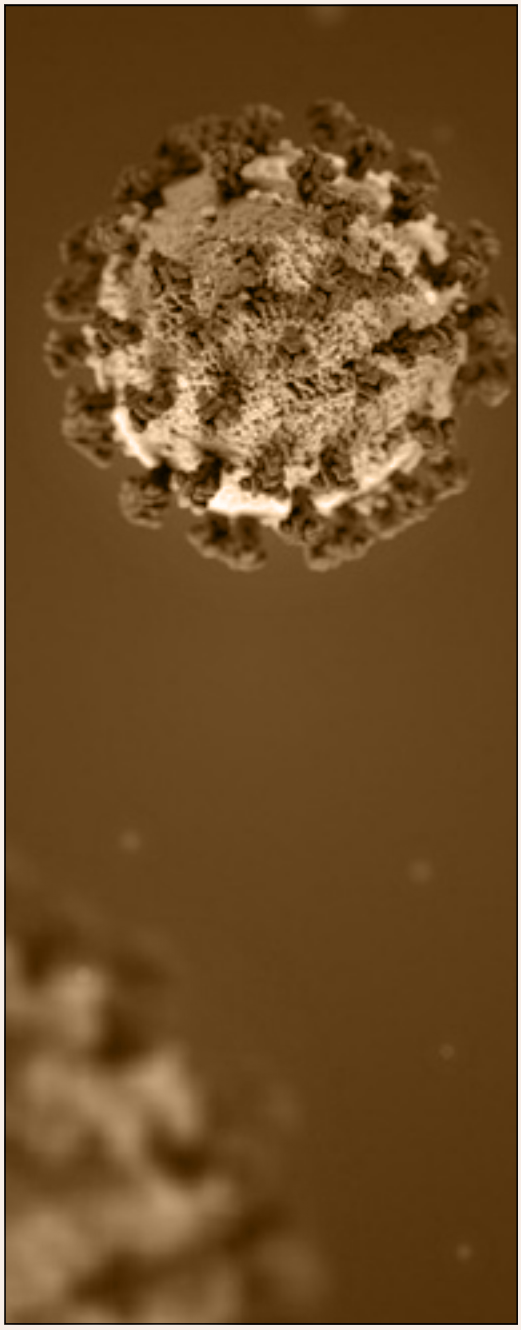

يا حسرة على عقول العباد، أنكروا وجود رب عظيم وهم يرون آثاره صباح مساء، في أنفسهم وفي كل شيء من حولهم، ثم هم أنفسهم أثبتوا وجود وباء لأنهم رأوا آثار قتله وتعطيله للحياة كلها، أي تناقض هذا الذي يعيشه هذا الإنسان المسكين التائه من غير دين يرشده، وكتاب ينقذه، ونبي يأخذ بيده؟

وبعد زوال هذا الوباء لن تجد مكاناً للإلحاد إلا في رأس من لا عقل له، لأن أكبر شبهة يعتمد عليها الملاحدة وبها أنكروا وجود الله هي أنهم لا يقدرون على إثبات وجود من لا يرونه، فكيف يخافون من لا يرونه؟ وكيف يطيعون من لا يرونه؟ وكيف ينتهون عن نهي من لا يرونه؟ ولم يكن يقنعهم وجود هذه العوالم العلوية والسفلية كأثر من آثاره التي تدل على وجوده، والآن بطلت حجتهم ورُدَّت دعواهم بفضل كائن ميت لا يُرى، فاليوم العالم كله خائف من شيء لا يُرى، ومع ذلك آمنوا به لأنهم رأوا آثاره ممن قتلهم، أو آذاهم، أو مسهم مساً خفيفاً ثم شفوا.

يا حسرة على عقول العباد، أنكروا وجود رب عظيم وهم يرون آثاره صباح مساء، في أنفسهم وفي كل شيء من حولهم، ثم هم أنفسهم أثبتوا وجود وباء لأنهم رأوا آثار قتله وتعطيله للحياة كلها، أي تناقض هذا الذي يعيشه هذا الإنسان المسكين التائه من غير دين يرشده، وكتاب ينقذه، ونبي يأخذ بيده؟

لقد قرأتُ كل التفسيرات الخاصة بهذا الوباء، تلك التي تقول: إن ثمة يداً إنسية

مجرمة وراء انتشاره تريد فناء البشرية، والإبقاء على مجموعة من البشر لا يتجاوزن مليار إنسان، أو التي تقول لقد انتشر الوباء انتشاراً طبيعياً من غير فعل فاعل، وكان باعثه وسبب انتشاره بعض المخلوقات وأصناف من المطعومات، أو التي تجمع بين القولين، وتبني على ذلك أن النخبة التي تحكم العالم منذ قرون تريد تغير النظام العالمي الحالي إلى نظام عالمي جديد، يزداد فيه استعباد الإنسان وقهره. ولا يهمنا سواء صدق بعض هذا أم كله أم لم يصدق شيء منه، إنما الذي يعنينا هو أن هذا المخلوق المسمى (فيروس كورونا) هو شيء، والله خالق كل شيء، وكأن البشرية اليوم على مفترق طرق خطير لا خيار أمامها إلا أن تعلن يقظتها الحاسمة وانتفاضتها المدوية في وجه من يتحكمون بها، وتعلن تحررها من الإنسان وطغيانه، وستكون لحظة فارقة في تاريخ البشرية جمعاء إن هم اغتنموها.

لقد ثبت مصداق حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال فيه: ((من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))، أعيدونا إلى ما قبل وباء كورونا، وقد مر على الإنسان حين من الدهر لم يكن يعبأ بكل هذا وهو موجود، إنه الإلف الذي يجعلنا في سكرة عن حمد الله وشكره على كل دقيق وجليل من نعمائه، مما نبصر ومما يخفى علينا، فسبحان من قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

من يخبر عني (صموئيل هنتنغتون) صاحب (نظرية صراع الحضارات) أن صراع الحضارات قد توقف ولو إلى حين، وقد تفرغ أبناء كل الحضارات والأديان لمصارعة ومحاربة عوالم دقيقة خفية، وفيروسات وصفت بأنها ذكية، لا نعرف عنها شيئاً سوى أنها موجودة وتسعى لاستئصال شأفتنا؟ ومن يخبر عني (فوكوياما) صاحب (نظرية نهاية التاريخ) القائلة بأن التاريخ قد توقف عند نموذج الإنسان الأمريكي، وعلى أمريكا العظمى أن تسوق نموذجها في كل العالم وتختصر على البشر معاناة السعي إلى الكمال؛ لأن الإنسان الأمريكي هو أرقى نموذج يمكن أن يصل إليه البشر؟ من يخبره إن كان قد عمي أن النموذج الأمريكي في طريقه إلى الانهيار بفعل هذا الكائن الميت؟ وأن أمريكا على شفا حرب أهلية داخلية عنوانها: الاستئثار والصراع من أجل البقاء، ولا بقاء إلا للأقوى، ألم تدرسونا هذا في مناهجكم؟ ومن يخبرهما أن كل الاتحادات على وشك التصدع والانهيار؟ وليس الاتحاد الأوروبي وأخباره عنا ببعيدة، وهذا ما يتوقع لحلف (الناتو)، ولغيره من الأحلاف في شرق البلاد وغربها، سبحان من قال: لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار.

إن عاصفة ما يجري جارفة، ولا تفرق بين شرق وغرب، ومؤمن وكافر، وهي درس بليغ لكل الناس، ولكن يبقى حال المسلم أفضل وأرقى من حال الكافر والملحد،

إن عاصفة ما يجري جارفة، ولا تفرق بين شرق وغرب، ومؤمن وكافر، وهي درس بليغ لكل الناس، ولكن يبقى حال المسلم أفضل وأرقى من حال الكافر والملحد، إذ لا مقارنة بين الحالين، فإنك تجد عند المسلم من التفويض والتسليم والطمأنينة ما لا تجده عند غيره، نعم يحتاط ويأخذ بالأسباب كاملة، ولكنه يعلم أن لن يصيبه إلا ما كتبه الله عليه.

إذ لا مقارنة بين الحالين، فإنك تجد عند المسلم من التفويض والتسليم والطمأنينة ما لا تجده عند غيره، نعم يحتاط ويأخذ بالأسباب كاملة، ولكنه يعلم أن لن يصيبه إلا ما كتبه الله عليه، فقد يموت كل البشر ويبقى هو، وقد يموت هو ويبقى كل البشر، إن أمره كله بيد الله، ولا يعلم الغيب إلا الله، وأن الله يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، والمسلم بهذا العزل المنزلي منتفع على كل الأحوال، إن عاش فهي فرصة ليقترب من ربه وليعبده ويذكره، وليكثر من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن قول: ((لا حول ولا وقوة إلا بالله))، ومن قول: ((اللهم أني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيء الأسقام))، ومن قول: ((بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السمع العليم)).

وليتذكر المحاصرين في الشام وغزة واليمن، والمعتقلين في سجون الظلمة والجبابرة، وهي فرصة ليأنس بعائلته وأهل بيته، وإن مات فله أجر شهيد، وهذا ليس لأحد من الأمم إلا لنا، حتى حسرته وحزنه على إغلاق المساجد، وعلى تعطيل الجمعة والجماعات له فيها أجر، وهذا أيضا ليس لأحد سوانا.

وفي الختام أقول: إنه لمن العجب أن يحارب ميت أحياء ويكون الظفر له مهما كانت نتائج المعركة النهائية، جدير بنا أن نتأمل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١]، وحري بنا أن نتفكر في سنة المداولة التي فرضها الله على عباده حتى لا يجتمع النعيم كل النعيم لزمرة من الناس، والألم كل الألم لزمرة ثانية منهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جمع مرويات

((مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً))

عقيل بن محمد المقطري

الحَمْدُ للهِ وَالْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ وَبَعْدُ:

فَهَذَا جَمْعٌ لِأَحَادِيثِ: ((مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً)) بِأَلْفَاظِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، مَعَ اسْتِخْرَاجِ فَوَائِدِهَا بِطَرِيقَةٍ مُخْتَصَرَةٍ، وَبَيَانِ خُلَاصَةِ مَرْتَبَةِ الحَدِيثِ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا كَاتِبَهَا وَقَارِئَهَا؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

الحَدِيثُ الأَوَّلُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً))[1].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

(١) أخرجه البخاري (١٤/ ٢٩٧) برقم (٥٦٧٨)، وابن ماجه (٢/ ١١٣٨) برقم (٣٤٣٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٤٢١).

الحَدِيثُ الثَّانِي:

عَنْ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: عَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً بِهِ جَرْحٌ، فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اُدْعُوا لَهُ طَبِيبَ بَنِي فُلَانٍ))، قَالَ: فدَعَوهُ فَجَاءَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، ويُغْنِي الدَّواءُ شَيْئَاً؟ فَقَالَ: ((سُبْحَانَ الله، وهَلْ أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ في الأرضِ، إلا جَعَلَ له شفاءً))[2].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: صَحِيحٌ.

مَعَانِي الكَلِمَات:

((مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً)) أَيْ مَا أَصَابَ أَحَدَاً بِدَاءٍ[3]، وَقِيلَ: أَيْ مَا أَحْدَثَ وَأَوْجَدَ، وَقِيلَ: إِنْزَالُ المَلَائِكَةِ المُوَكَّلِينَ بِمُبَاشَرَةِ مَخْلُوقَاتِ الأَرْضِ مِنَ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ[4]. وَقِيلَ: إِنْزَالُ عِلْمِ

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ٢٢٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٢١) إلا أن فيه عن هلال قال: جرح .... إلخ فذكره مرسلاً.
(٣) شرح المشكاة للطيبي (٩/ ٢٩٥٣).
(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١/ ٢٢٩-٢٣٠).

ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ المَلَكِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا، أَوْ عَبَّرَ بِالإِنْزَالِ عَنِ التَّقْدِيرِ[1]. وَقِيلَ: إِنْزَالُهُمَا خَلْقُهُمَا وَوَضْعُهُمَا فِي الأَرْضِ، وَانْتُقِدَ هَذَا بِأَنَّ لَفْظَ الإِنْزَالِ أَخَصُّ مِنَ الخَلْقِ وَالوَضْعِ، وَإِسْقَاطُ خُصُوصِيَّةِ الأَلْفَاظِ بِلَا مُوجِبٍ غَيْرُ لَائِقٍ[2].

قُلْتُ: كُلُّ هَذِهِ المَعَانِي صَحِيحَةٌ.

((أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً)): قِيلَ إِعْلَامُ إِنْزَالٍ وَقِيلَ: إِنْزَالُ خَلْقِ الأَدْوِيَةِ، وَلَا يَضُرُّ جَهْلُ النَّاسِ لَهَا، بَلْ حَدِيثُ: ((عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ)) دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ[3]، وَقِيلَ ((أَنْزَلَ)) أَيْ: قَدَّرَ أَيْ: قَدَّرَ لَهُ دَوَاءً[4].

((دَاءً)): أَيْ وَجَعاً وَبَلَاءً[5].

((شِفَاءً)): أَيْ عَلَاجاً وَدَوَاءً[6].

مَنْ فَوَائِدِ الحَدِيثَيْنِ:

١. إِثْبَاتُ الطِّبِّ.

٢. إِبَاحَةُ التَّدَاوِي فِي عَوَارِضِ الأَسْقَامِ.

٣. الإِعْلَامُ أَنَّ تِلْكَ الأَدْوِيَةُ تُشْفِي وَتُنْجِعُ بِإِذْنِ اللهِ -عَزَّوَجَلَّ-.

٤. أَنَّ الدَّاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالَى.

٥. أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُهُ عَلَى النَّاسِ.

٦. أَنَّ التَّطَبُّبَ لَا يَحُطُّ المَرْتَبَةَ، وَلَا يَقْدَحُ فِي المَنْزِلَةِ، وَلَوْ كَانَ التَّدَاوِي يَحُطُّ المَنْزِلَةَ مَا دَاوَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَدَاوَى.

٧. أَنَّ الدَّاءَ تَأْدِيبٌ وَابْتِلَاءٌ مِنَ اللهِ يُؤَدِّبُ وَيَبْتَلِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

٨. أَنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ خَلَقَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً.

٩. إِثْبَاتُ القَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

١٠. أَهَمِيَّةُ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ.

١١. عُمُومُ هَذَا الحَدِيثِ يَقْتَضِي: أَنَّ جَمِيعَ الأَمْرَاضِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ لَهَا أَدْوِيَةٌ تُقَاوِمُهَا، تَدْفَعُ مَا لَمْ يَنْزِلْ، وَتُرْفَعُ مَا نَزَلَ بِالْكُلِّيَّةِ، أَوْ تُخَفِّفُهُ.

١٢. التَّرْغِيبُ فِي تَعَلُّمِ طِبِّ الأَبْدَانِ، كَمَا يُتَعَلَّمُ طِبُّ القُلُوبِ.

❁ الحَدِيثُ الثَّالِثُ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَا أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَلَهُ شِفَاءٌ، فَعَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِ الْبَقَرِ، فَإِنَّهَا تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ))[7].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْهَا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ.

❁ الحَدِيثُ الرَّابِعُ:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((إِنَّ اللهَ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، إِلَّا الهَرَمَ، فَعَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِ البَقَرِ؛ فَإِنَّهَا تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ))[8].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: صَحِيحٌ.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٣٥).
(٢) فيض القدير للمناوي (٥/ ٤٢٨).
(٣) التنوير شرح الجامع الكبير (٩/ ٣٥٨).
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٦٠).
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٦٠).
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٦٠).
(٧) مسند البزار (٨/ ٢٥).
(٨) أخرجه ابن حبان (١٣/ ٤٤٠-٤٣٩)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ٢٨٦)، والنسائي في سننه الكبرى (٦/ ٢٩٨) وغيرهم.

مَعَانِي الكَلِمَات:

قوله: ((فَإِنَّهَا تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ))، أَيْ فَإِنَّهَا تَأْكُلُ مِن رَمَمَ يَرْمُمُ باب نَصَرَ يَنْصُرُ[١].

((الدَّاءُ)): تَغَيُّرٌ يَسِيرٌ يَعْتَرِي البَدَنَ مُدَّةً عَنْ حَالِ القُوَّةِ وَالْاعْتِدَالِ[٢].

((الهَرَمُ)) تَغْيِيرٌ كَثِيرٌ يَعْتَرِي البَدَنَ، وَيَسْتَمِرُ إِلَى المَوْتِ[٣].

مَنْ فَوَائِدِ الحَدِيثَيْنِ:

١. الإِشَارَةُ إِلَى تَرْكِيبِ الْمَعَاجِيْنِ لِمَا فِي الْجَمْعِيَّةِ مِنْ حُصُولِ الاعْتِدَالِ[٤].

٢. مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي الْتَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ[٥].

❁ الحَدِيثُ الخَامِسُ:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: ((مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ))[٦].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: صَحِيحٌ.

---

(١) نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار للعلامة بدر الدين العيني (١٤/١٨٦).

(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٥/٥٤٢).

(٣) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٥/٥٤٢).

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/٢٨٦٠).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/٢٨٦٠).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١/٤٥٣، ٤١٣، ٣٧٧) وابن ماجه (٢/ ١١٣٨) دون قوله: ((عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ...إلخ))، والحاكم (٤/٣٩٩، ١٩٦) وغيرهم.

مَنْ فَوَائِدِ الحَدِيثِ:

١. إِبَاحَةُ مُعَالَجَةِ الأَطِبَّاءِ.

٢. أَنَّ بَعْضَ الأَدْوِيَةِ لَا يَعْلَمُهَا كُلُّ أَحَدٍ.

٣. أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَمْرَاضٌ حِسِّيَّةٌ أَو مَعْنَوِيَّةٌ مُسْتَعْصِيَةٌ لَا دَوَاءَ لَهَا، حَتَّى هَذِهِ الأَمْرَاضُ الْمُسْتَعْصِيَةُ لَهَا أَدْوِيَةٌ تُؤَثِّرُ فِيهَا، وَتَقْضِي عَلَيْهَا، وَلَكِنَّ الأَطِبَّاءَ لَمْ يَكْتَشِفُوهَا حَتَّى الآنَ.

٤. أَنَّ عَدَمَ حُصُولِ الشِّفَاءِ قَدْ يَنْتُجُ مِنَ الجَهْلِ بِحَقِيقَةِ الْمُدَاوَاةِ أَو بِتَشْخِيصِ الدَّاءِ، لَا لِفَقْدِ الدَّوَاءِ. وَاللهُ أَعْلَمُ[٧].

❁ الحَدِيثُ السَّادِسُ:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ؛ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ))[٨].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

مَعَانِي الكَلِمَاتِ:

قَوْلُهُ: ((بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ)): قَيَّدَ الْبُرْءَ بِإِذْنِ اللهِ أَيْ بِتَسْهِيلِهِ؛ لِئَلَّا يُتَوَهَمَ أَنَّ الدَّوَاءَ مُسْتَقِلٌ بِالشِّفَاءِ.

مَنْ فَوَائِدِ الحَدِيثِ:

١. عُمُومُ هَذَا الحَدِيثِ لَيْسَ مَقْصُوداً لِأَنَّهُ قَدْ اسْتُثْنِيَ مِنْهُ الهَرَمُ وَالمَوْتُ كَمَا فِي الأَحَادِيثِ الأُخْرَى.

٢. أَنَّ الشِّفَاءَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الإِصَابَةِ بِإِذْنِ اللهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الدَّوَاءَ قَدْ يَحْصُلُ مَعَهُ

---

(٧) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري للكرماني (٢٠/٢٠٤).

(٨) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٢٩)، وأحمد في المسند (٣/٣٣٥)، والنسائي في الكبرى (٤/٣٦٩) وغيرهم.

مُجَاوَزَةُ الحَدِّ فِي الكَيْفِيَّةِ أَوْ الكَمِّيَّةِ، فَلا يَنْجَعُ، بَلْ رُبَّمَا حَدَثَ دَاءٌ آخَرُ[١].

٣. أَنَّ الدَّوَاءَ قَدْ يَنْقَلِبُ إِلى دَاءٍ.

٤. أَنَّ حُصُولَ الشِّفَاءَ بِالدَّوَاءِ إِنَّمَا هُوَ كَدَفْعِ الجُوعِ بِالأَكْلِ وَالعَطَشَ بِالشَّرَبِ، وَهُوَ يَنْجَعُ فِي ذَلِكَ فِي الغَالِبِ، وَقَدْ يَتَخَلَّفُ لِمَانِعٍ.

٥. أَنَّ التَّدَاوِيَ مِنْ قَدَرِ الله تَعَالى[٢].

٦. أَنَّ المَرِيضَيْنِ بِمَرَضٍ وَاحِدٍ قَدْ يَنْفَعُ الدَّوَاءُ أَحَدَهُمَا وَلَا يَنْفَعُ الآخَرَ.

٧. أَنَّ الشِّفَاءَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الإِصَابَةِ بِإِذْنِ اللهِ.

٨. ثَبَاتُ الأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ وَإِبْطَالُ قَوْلِ مَنْ أَنْكَرَهَا[٣].

٩. أَنَّ كُلَّ دَاءٍ لَهُ ضِدٌّ مِنَ الدَّوَاءِ إلا ما طَوَى الله عِلْمَهُ عن الخَلقِ[٤].

١٠. أَنَّه مَتَى لَمْ يَقَعِ الْمُدَاوِي عَلَى الدَّوَاءِ، أَوْ لَمْ يَقَعِ الدَّوَاءُ عَلَى الدَّاءِ، لَمْ يَحْصُلِ الشِّفَاءُ، وَمَتَى لَمْ يَكُنِ الزَّمَانُ صَالِحًا لِذَلِكَ الدَّوَاءِ، لَمْ يَنْفَعْ، وَمَتَى كَانَ الْبَدَنُ غَيْرَ قَابِلٍ لَهُ، أَوِ الْقُوَّةُ عَاجِزَةٌ عَنْ حَمْلِهِ، أَوْ ثَمَّ مَانِعٌ يَمْنَعُ مِنْ تَأْثِيرِهِ، لَمْ يَحْصُلِ الْبُرْءُ لِعَدَمِ الْمُصَادَفَةِ، وَمَتَى تَمَّتِ الْمُصَادَفَةُ حَصَلَ الْبُرْءُ بِإِذْنِ الله وَلَا بُدَّ[٥].

١١. الحَثُّ عَلَى طَلَبِ ذَلِكَ الدَّوَاءِ وَالتَّفْتِيشِ عَلَيْهِ.

(١) فتح الباري (١٠/ ١٣٥).
(٢) مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٨٦١).
(٣) الطب النبوي لابن القيم (ص١٢).
(٤) الطب النبوي لابن القيم (ص١٣).
(٥) الطب النبوي لابن القيم (ص١٣).

❁ الحَدِيثُ السَّابِعُ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ))[٦].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: ضَعِيفٌ فِي سَنَدِهِ ثَعْلَبَةُ بْنِ مُسْلِمٍ الْخَثْعَمِيِّ، قَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنِ حَجَرٍ: «مَسْتُورٌ».

لَكِنْ يَشْهَدُ لَهُ الْأَحَادِيثُ الأُخْرَى إِلَّا لَفْظَةُ: ((فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ)).

❁ الحَدِيثُ الثَّامِنُ:

عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((إِنَّ اللهَ خَلَقَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ؛ فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ))[٧].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: صحيح.

مَنْ فَوَائِدِ الحَدِيثَيْنِ:

١. أَنَّ كُلَّ دَاءٍ لَهُ دَوَاءٌ، حَلَالاً كَانَ أَمْ حَرَامًا.

٢. الْأَمْرُ بِالتَّدَاوِي، وَهَذَا الأَمْرُ مَصْرُوفٌ مِنَ الْوُجُوبِ إِلَى الاسْتِحْبَابِ بِأَحَادِيثَ أُخْرَى مِنْهَا حَدِيثُ: ((لَا يَسْتَرْقُونَ)).

٣. تَحْرِيمُ التَّدَاوِي بِالْمُحَرَّمِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ فِي قَوْلِهِ: ((فَلَا تَتَدَاوَوْا)) يُفِيدُ ذَلِكَ.

❁ الحَدِيثُ التَّاسِعُ:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ رَجُلاً فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابَهُ جُرْحٌ، فَاحْتَقَنَ الجُرْحُ الدَّمَّ، وَأَنَّ الرَّجُلَ دَعَا رَجُلَيْنِ من

(٦) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٥).
(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٤٩٢).

بَنِي أَنْمَارٍ فَنَظَرَا إليه، فَزَعَمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمَا: ((أَيُّكُمَا أَطَبُّ؟)) فَقَالَا: أَوَ فِي الطِّبِّ خَيْرٌ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَزَعَمَ زَيْدٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَنْزَلَ الدَّوَاءَ الذِّي أَنْزَلَ الأَدْوَاءَ))[1].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: مُرْسَلٌ صَحِيحٌ، وَتَشْهَدُ لَهُ أَحَادِيثُ عِدَّةٌ.

۞ الحَدِيثُ العَاشِرُ:

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَتَدَاوَى؟ قَالَ: ((تَعَلَّمَنَّ إِنَّ الله تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ)) قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: ((الْهَرَمُ)) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[2].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَالْذَّهَبِيُّ، وَهُوَ كَمَا قَالَا.

۞ الحَدِيثُ الحَادِي عَشَرَ:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وقَعَدْتُ، قَالَ: فَجَاءتِ الأَعْرَابُ، فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَتَدَاوَى؟ قال: ((نَعَمْ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الهَرَمُ))... قَالُوا: مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((خُلُقٌ حَسَنٌ))[3].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: صَحِيحٌ.

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

((لَمْ يَضَعْ)): لَمْ يَخْلُقْ.

((شِفَاءً)) أَيْ: دَوَاءً شَافِياً بِجَرْيِ الْعَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

((إِلَّا الْهَرَمَ)) بِفَتْحَتَيْنِ، أَيْ: كِبَرُ السِّنِّ، وعَدَّهُ من الأَسْقَامِ وإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الهَلَاكِ وَمُقَدِّمَاتِهِ كَالدَّاءِ، أَوْ لِأَنَّهُ يُفْتِرُ البَدَنَ عَنِ القُوَّةِ والاعْتِدَالِ كالدَّواءِ[4].

مَنْ فَوَائِدِ الحَدِيثِ:

١. فِيهِ أَنَّ الْهَرَمَ لَا دَوَاءَ لَهُ.

۞ الحَدِيثُ الثَّانِيَ عَشَرَ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللهَ حَيْثُ خَلَقَ الدَّاءَ، خَلَقَ الدَّوَاءَ، فَتَدَاوَوْا))[5].

مَرْتَبَةُ الحَدِيثِ: صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

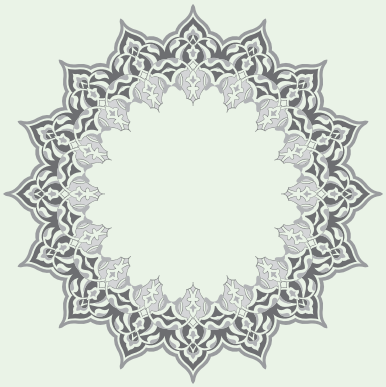

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤٢٢)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٤٣).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢١٩).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٩٤)، وأبو داود (٢/ ٣٩٦)، وابن ماجه (٢/ ١١٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤٢١)، وغيرهم.
(٤) حاشية السندي على ابن ماجه (٢/ ٣٣٩).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٤٢١)، وعبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣١).

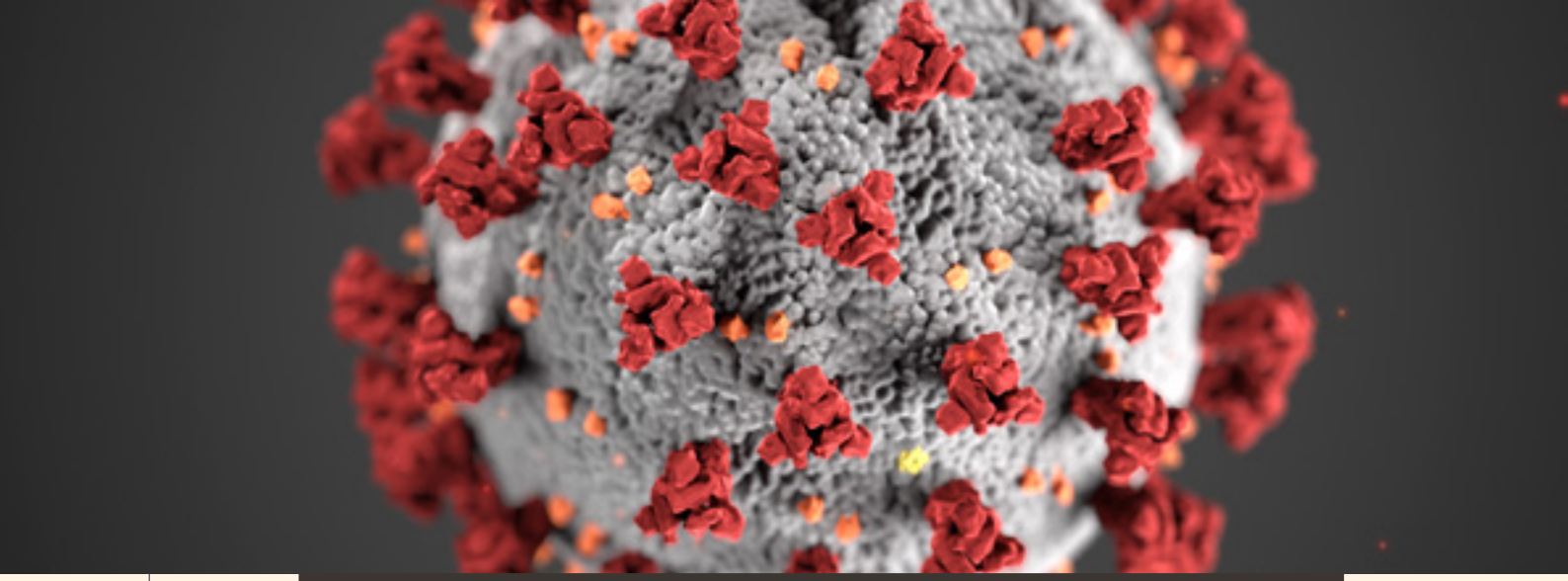

دروس (كورونا) العقدية

د. عدنان أمامة

مخلوق صغير جداً، لا يُرى بالعين المجردة أرعب العالم كله، وأجبر من كان بالأمس يقول: من أشد منا قوة على الاعتراف بالعجز الكامل، وقد جلَّى هذا الحدث جملة من القضايا العقدية نرصدها في المقال التالي:

(١) تجلت في هذا الحدث آثار اسم الله (القاهر) و(القهار)، وثبت للجميع أن القهار على الحقيقة هو الله وحده سبحانه، قهر وغلب عباده أجمعين، حتى إن أعتى المخلوقات يتضاءل ويتلاشى أمام قهر الله وجبروته، فها هي الدول الكبرى التي قالت بلسان حالها ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ تقف بطائراتها العملاقة، وبوارجها الضخمة، وصواريخها الفتاكة، وأسلحتها المدمرة، عاجزة خانعة مقهورة، هزمها مخلوق صغير حقير لا يُرى بالعين المجردة، حتى قال بعض رؤسائها: عجزت حلول الأرض وننتظر حلول السماء! وآخرون دعوا شعوبهم للتضرع والصلاة لكشف هذا البلاء.

(٢) تجلَّت في هذا الحدث آثار اسم الله (الملك) و(المالك) و(المليك)، فهاهم ملوك الأرض يُعلنون عجزهم وضعفهم، ويرفعون شكواهم إلى مالك الأرض والسماء، وهاهم مالكو الأرقام الفلكية من الأموال يرونها تنهار وتتبخر أمام عيونهم، دون قدرة لهم على فعل شيء، ما جعلنا نتذكر الحقيقة التي ستكون عليه الخليقة يوم القيامة حين ينادي الله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، ثم يجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

جاء في حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((يطوي الله عَزَّوَجَلَّ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون. ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)) [رواه مسلم].

(٣) تجلت في هذا الحدث آثار اسم الله (القادر) و(القدير) و(المقتدر)، وأظهر كورونا عظيم قدرة الله عَزَّوَجَلَّ. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

فلئن كانت البشرية تقر بالله خالقاً - استجابة للفطرة التي فطر الله الناس عليها - إلا أن الغالبية الساحقة منها لا تقر بأن الأمر والحكم في الخلق له وحده وليس لغيره.

فرأينا قرابة ثمان مليارات إنسان ينتابهم الهلع والخوف من مخلوق لا يُرَى بالعين المجردة، فكيف سيكون حالهم لو أرسل عليهم مَلَكاً من ملائكته العظام؟ وكيف بقدرة القوي القدير سبحانه؟

(٤) تجلى في الحدث أن الأمر في الكون أمر الله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فلئن كانت البشرية تقر بالله خالقاً - استجابة للفطرة التي فطر الله الناس عليها - إلا أن الغالبية الساحقة منها لا تقر بأن الأمر والحكم في الخلق له وحده وليس لغيره، بل وصل الغرور والاستكبار بها إلى حد الادعاء بأنه - وبعد أن اكتشف الإنسان كثيراً من سنن الله في خلقه وعرف أسرارها وكيفية عملها - لم يعد هناك أي حاجة إلى الخالق سبحانه، ويمكن للبشر الاستغناء تماماً عن الله، بل وصل التبجح

والوقاحة ببعض الأشقياء إلى القول: بموت الإله، فأتى هذا الفيروس الصغير حاملاً رسالة من خالقه تقول: الخلق خلقي والملك ملكي والأمر لي وليس لأحد غيري.

أثبت كورونا زيف وبطلان الآلهة المدعاة مع الله؛ فالقبور والأضرحة وسائر المعبودات التي يعبدها فئام من الناس، ويتخذونها مستشفيات وملاذات، يحتمون بأصحابها، ويرجون منهم جلب النفع ودفع الضر، إذا بها تحمل لهم المرض والموت الزؤام.

(٥) أثبت كورونا زيف وبطلان الآلهة المدعاة مع الله؛ فالقبور والأضرحة وسائر المعبودات التي يعبدها فئام من الناس، ويتخذونها مستشفيات وملاذات، يحتمون بأصحابها، ويرجون منهم جلب النفع ودفع الضر، إذا بها تحمل لهم المرض والموت الزؤام، وصدق الله حيث قال: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ [هود: ١٠١].

(٦) أكد هذا الحدث أن الله وحده علام الغيوب، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾، فقد وضعت الدول والمؤسسات والشركات ورجال الأعمال خططاً وبرامج لعشرات السنوات القادمة بحسب علمهم وتوقعاتهم، فجاء هذا الحدث لينسفها من جذورها نسفاً، ويقلبها رأسا على عقب، ويبطل من يُؤَلِّه الأسباب، ويعتقد أن الكون يسير كعقارب الساعة دون ممسك أو مدبر.

(٧) جاء هذا الحدث برهاناً ساطعاً على صدق نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد اكتشف العالم أن أحدث ما وصل إليه الطب الوقائي لتجنب الجراثيم والأمراض قد سبق أن أرشد إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أربعة عشر قرناً، ما حمل (مجلة نيوزويك الأمريكية) - وهي من أشهر المجلات في العالم - أن تكتب على صفحتها الأولى:

هل تعرف من الذي اقترح النظافة الشخصية والحجر الصحي أثناء الوباء؟

إنه محمد نبي الإسلام قبل ١٣٠٠ عام.

لم يكن أبدًا خبيرًا في المسائل المتعلقة بالأمراض الفتاكة، إلا أن محمد كان لديه نصيحة رائعة لمنع ومكافحة تطور وباء مثل (فايروس كورونا) ما يؤكد أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، واكتشفت البشرية أن النظافة والوضوء والاغتسال، وآداب السعال والعطاس، والحجر الصحي، وتطبيق سنن الفطرة لم يرشد إليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترفاً أو تخميناً من

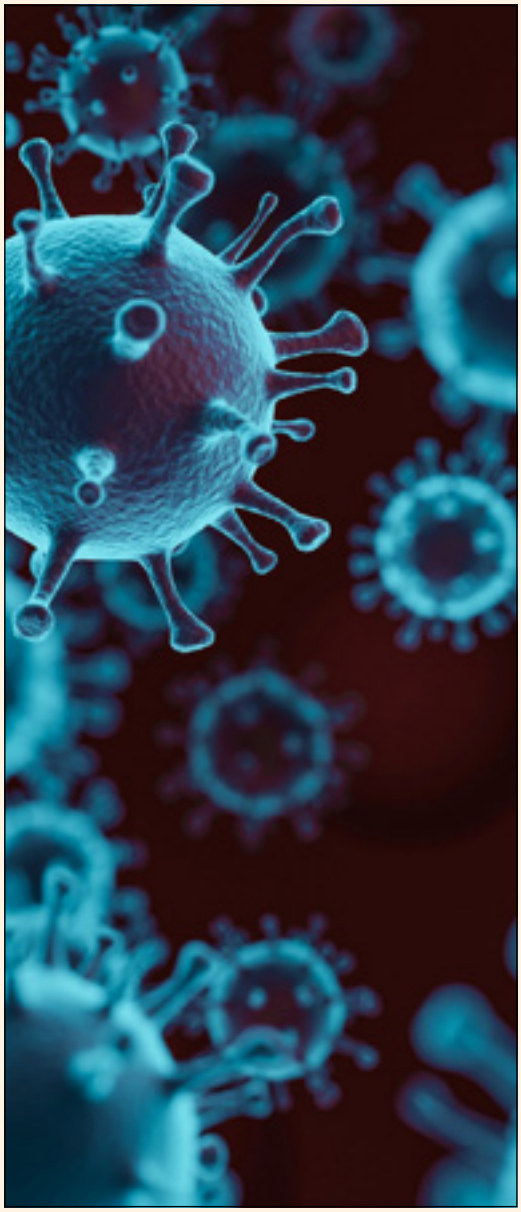

عند نفسه، بل تلقاها من ربه الذي يعلم أسرارها ومنافعها لبني البشر.

(٨) كشف هذا الحدث سنة تاريخية في بني البشر حيث ينقسمون عند وقوع الآيات الكونية إلى قسمين: مؤمنين توقظهم الآيات وتذكرهم بعظمة ربهم فيرجعون إليه، وينكسرون بين يديه، ويرفعون إليه أكف الضراعة ليكشف عنهم العذاب، وكفار متكبرين قساة قلوب لا تزيدهم الآيات إلا عناداً وكفراً. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٣]، وقال: ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنَا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٠].

كشف هذا الحدث سنة تاريخية في بني البشر حيث ينقسمون عند وقوع الآيات الكونية إلى قسمين: مؤمنين توقظهم الآيات وتذكرهم بعظمة ربهم فيرجعون إليه، وينكسرون بين يديه، ويرفعون إليه أكف الضراعة ليكشف عنهم العذاب، وكفار متكبرين قساة قلوب لا تزيدهم الآيات إلا عناداً وكفراً.

وهذا ما حصل بالفعل، فرأينا فزعاً وتذكراً وتضرعاً وأوبة إلى الله من كثير من المسلمين، وفي المقابل رأينا استكباراً وعناداً وإعراضاً من الكافرين والمنافقين، حيث جهدوا في نفي ربط الحدث بالدين والإيمان، وحاولوا تفسيره تفسيراً مادياً بحتاً.

كورونا
ومنهجية الإنذار والتبشير وفتح باب الأمل العريض

د. هشام برغش

يتميز المنهج القرآني في تناوله لقضايا الإصلاح الكبرى والظواهر الكونية بتناوله الفريد الجامع المتوازن المتدرج، وهو في هذا التناول ينطلق من مقصد مستقر في مقاصده الكلية وتشريعاته الجزئية؛ وهو الرحمة وإرادة الإصلاح.

ولعل ملاحظة هذا المنهج الفريد ترشد المصلحين إلى منهجية التعامل والتعاطي مع تفشي فيروس كورونا الجديد وتحوله لوباء عالمي وخطر وجودي يتهدد العالم كله؛ على نحو ربما لم يخطر على بال أكثر المتشائمين.

يقول تعالى في سورة الروم: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١].

فالآية تتحدث عن فساد عريض عمَّ الكون كله؛ بره وبحره، والفساد الذي ظهر وتمكن على هذا النحو؛ الذي يمنع انتفاع الناس بما سخره الله لهم من البر والبحر: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية:١٣]؛ فإذا هم بين عشية وضحاها مهددون بفقد هذه النعمة؛ قال ابن عاشور: «وَفَسَادُ الْبَرِّ يَكُونُ بِفِقْدَانِ مَنَافِعِهِ وَحُدُوثِ مَضَارِّهِ، مِثْلَ حَبْسِ الْأَقْوَاتِ مِنَ الزَّرْعِ وَالثِّمَارِ وَالْكَلَأِ، وَفِي مَوَتَانِ الْحَيَوَانِ الْمُنْتَفَعِ بِهِ.. وَفِي حُدُوثِ الْجَوَائِحِ مِنْ جَرَادٍ وَحَشَرَاتٍ وَأَمْرَاضٍ... وَفَسَادُ الْبَحْرِ كَذَلِكَ يَظْهَرُ فِي تَعْطِيلِ مَنَافِعِهِ».

ثم قال: «فَكَانَ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ أَنِ انْقَطَعَتْ سُبُلُ الْأَسْفَارِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَتَعَطَّلَتِ التِّجَارَةُ وَقَلَّتِ الْأَقْوَاتُ...» [التحرير والتنوير: ٢١/١٠٩].

وهو عين ما أصاب العالم الحديث، رغم ما يملكه من تقنيات حديثة، وسبل انتقال ووسائل مواصلات، ورغم كل ما وصل إليه من علم، وبلغت الأرض شأواً بعيداً في التقدم والتطور حتى ظن أهلها أنهم قادرون عليها!

وفي تناول القرآن الفريد لهذه الظاهرة يقرر حقائقه الكبرى؛ فظهور الفساد هكذا واستعلاؤه لا يتم عبثًا، ولا يقع مصادفة، إنما هو تدبير الله وسنته وقدرته، وهو مقتضى عدله ورحمته وحكمته البالغة!

ما ظهر للناس من فساد الأحوال واضطراب الحياة كافٍ لإقلاعهم عما هم اكتسبوه، فإن هم لم يرجعوا ولم يبادروا بالتضرع إلى الله والفرار إليه؛ يأتي التحذير والتوعد بفسادٍ أعظم قد يحل بهم مثله، وهو ما أصاب الذين من قبلهم بسبب ما كانوا عليه.

فعدله قائم مستقر؛ إنه لا يظلم أحدًا؛ ولم يك مغيرًا نعمةً أنعمها على قوم حتى يكونوا هم سبب ذلك، و**رحمته حاضرة شاهدة؛** فإنما هي بعض أعمالهم؛ الظاهرة والباطنة، لا كلها ولا جلها؛ وإلا ما ترك على ظهرها من دابة! وحكمته ظاهرة واضحة؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ حينما يكتوون بناره، ويتألمون لما يصيبهم منه؛ فيعزمون على مقاومة الفساد، ويرجعون إلى الله حيث المنهج القويم والعمل الصالح.

فما ظهر لهم من فساد الأحوال واضطراب الحياة كافٍ لإقلاعهم عما هم اكتسبوه، فإن هم لم يرجعوا ولم يبادروا بالتضرع إلى الله والفرار إليه؛ يأتي التحذير والتوعد بفسادٍ أعظم قد يحل بهم مثله، وهو ما أصاب الذين من قبلهم بسبب ما كانوا عليه من نظير حال هؤلاء: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الروم: ٤٢]، فأمرهم بالسير في الأرض والنظر في مصير الأمم التي أشركت وكذَّبت؛ سيرَ أبدان وسيرَ قلوب؛ للنظر والتأمل بعواقب المتقدمين؛ فهي سنن كونية مضطردة لا تتخلف إذا وجدت أسبابها، ولا تحابي أحدًا؛ «أنهلك وفينا الصالحون يا رسول الله؟!»، قال: ((نعم، إذا كثر الخبث)).

ثم يُفتح باب الأمل العريض لمن يستفيد من الآيات ويبادر للتوبة والإنابة؛ فما أصابكم من هلع ومشقة وكساد، وما انقطعت بكم من سبل؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ برحمته الواسعة يُذهب ذلك كله ويُبدِّلكم من بعد خوفكم أمنًا، ويؤتيكم خيرًا مما أخذ منكم ويغفر لكم؛ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾؛ «لِيُبَشِّرَكُمْ بِصَلَاحِ الْهَوَاءِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ بِالْمَطَرِ». [الفخر الرازي -مفاتيح الغيب] ولتجري الفلك بأمره؛ فتسيروا في الأرض بعد أن انقطعت بكم سبل الأسفار في البر والبحر والجو، ولتستأنفوا أعمالكم وتجاراتكم وتبتغوا من فضل الله، ولعلكم تشكرون.

أثـــر الذنـــوب

في هلاك الأمم والشعوب

الحسن بن علي الكتاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد، فقد ارتفعت هذه الأيام أصوات قوم من المسلمين، بل ممن يوصفون بالعلم والدعوة إلى الله تعالى، تُنكر أن تكون الكوارث والمصائب التي تعاني منها الأمم والشعوب، عقوبات ربانية على ما جناه الإنسان من تمردٍ على الله تعالى، وخروجٍ عن شريعته، بل لمجرد الذنوب والمعاصي.

والحق أن كل من طالع الكتب السماوية فضلاً عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لا ينتابه أدنى شك في فساد هذه المقولة، ومخالفتها لبدهيات الدين، ولكن المؤسف هو تأثر طوائف من المسلمين، بالفكر العلماني المادي، حتى إنهم أصبحوا يفسرون به النصوص الشرعية، وما ذلك إلا بسبب الهزيمةالنفسية أمام تغوُّل الباطل وانتفاشه.

١. أنواع المعاصي والذنوب:

ليست الذنوب والمعاصي على مرتبة واحدة، فمنها الصغائر، ثم الكبائر، ثم الموبقات، ثم البدع والمحدثات، ثم الشرك والكفر بالله تعالى. وواضح أنها ليست على مرتبة واحدة، بل إن كل قسم منها ليس على مرتبة واحدة كذلك.

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم من الآية: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُرَاد بِاللَّمَمِ مَا ذَكَرَهُ اللَّه سبحانه فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ

كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [النجم من الآية: ٣٢] وَهُوَ الْمَعْفُوُّ عَنْهُ. وَقَالَ الله جل جلاله فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء من الآية: ٣١] فَيُؤْخَذ مِنْ الْآيَتَيْنِ أَنَّ اللَّمَم مِنْ الصَّغَائِرِ وَأَنَّهُ يُكَفَّر بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ»[١].

وَسُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ الذُّنُوبِ الْكَبَائِرِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ. هَلْ لَهَا حَدٌّ تُعْرَفُ بِهِ؟ فأجاب: «أَمْثَلُ الْأَقْوَالِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْقَوْلُ الْمَأْثُورُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَأَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا وَهُوَ: أَنَّ الصَّغِيرَةَ مَا دُونَ الْحَدَّيْنِ: حَدُّ الدُّنْيَا، وَحَدُّ الْآخِرَةِ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: مَا لَيْسَ فِيهَا حَدٌّ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ: كُلُّ ذَنْبٍ خُتِمَ بِلَعْنَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ نَارٍ فَهُوَ مِنْ

(١) فتح الباري، حديث (٦٢٦٦).

الْكَبَائِرِ. وَمَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ: وَلَيْسَ فِيهَا حَدٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَا وَعِيدٌ فِي الْآخِرَةِ أَيْ (وَعِيدٌ خَاصٌّ) كَالْوَعِيدِ بِالنَّارِ وَالْغَضَبِ وَاللَّعْنَةِ. وَكَذَلِكَ كُلُّ ذَنْبٍ تُوُعِّدَ صَاحِبُهُ بِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا يَشُمُّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَقِيلَ فِيهِ: مَنْ فَعَلَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَأَنَّ صَاحِبَهُ آثِمٌ. فَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ الْكَبَائِرِ» انتهى باختصار[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار»[٣].

وَمِنْ أَحْسَنِ التَّعَارِيفِ قَوْلُ الْقُرْطُبِيِّ فِي الْمُفْهِمِ: «كُلّ ذَنْب أُطْلِقَ عَلَيْهِ بِنَصِّ كِتَاب أَوْ سُنَّة أَوْ إِجْمَاع أَنَّهُ كَبِيرَة أَوْ عَظِيم أَوْ أُخْبِرَ فِيهِ بِشِدَّةِ الْعِقَاب أَوْ عُلِّقَ عَلَيْهِ الْحَدّ أَوْ شُدِّدَ النَّكِير عَلَيْهِ فَهُوَ كَبِيرَة».

الذنوب مراتب، وكلما طغت الأمم وارتكبت ذنوباً كبيرة كانت أقرب لغضب الله تعالى وعقوبته، كما أنها كلما كانت أقرب للصلاح والاستقامة كانت أقرب لمرضاته سبحانه ورحمته.

ومما يدل على أن هذه المعاصي ليست على درجة واحدة ما ورد عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٦٥٠-٦٥٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (١١/٦٥٨-٦٥٩).
(٣) مدارج السالكين: (١/٣١٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ))[1].

قالَ الْقَرَافِيُّ: «الصَّغِيرَةُ لَا تَقْدَحُ فِي الْعَدَالَةِ وَلَا تُوجِبُ فُسُوقًا، إلَّا أَنْ يُصِرَّ عَلَيْهَا فَتَكُونُ كَبِيرَةً... فَإِنَّهُ لَا صَغِيرَةَ مَعَ إصْرَارٍ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ كَمَا قَالَ السَّلَفُ... وَيَعْنُونَ بِالِاسْتِغْفَارِ التَّوْبَةَ بِشُرُوطِهَا، لَا طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مَعَ بَقَاءِ الْعَزْمِ»[2]. وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإصرار على الصغيرة قد يساوي إثمه إثم الكبيرة أو يربى عليها»[3].

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١).
(٢) الفروق (٤/ ١٤٤).
(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١٥١).

وبهذا يتبين أن الذنوب مراتب، وكلما طغت الأمم وارتكبت ذنوباً كبيرة كانت أقرب لغضب الله تعالى وعقوبته، كما أنها كلما كانت أقرب للصلاح والاستقامة كانت أقرب لمرضاته سبحانه ورحمته.

٢. ما ورد في كتاب الله من انتقام الله من العصاة:

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تُحذِّر من معصية الله تعالى، وقصص كثيرة تحكي أحوال أمم عصت الله تعالى، وخالفت أوامره؛ فكان عاقبتها الدمار والفناء.

فكم من أمةٍ، وكم من قريةٍ كانت في سعةٍ من الرزق ورغدٍ من العيش وسلامة في الأبدان وأمنٍ في الأوطان، فحادت عن طريق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فحلَّ عليها العذاب، ونزل بها العقاب، وتبدلت الأحوال، وضُربت مثلاً للحاضر والباد.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الطلاق: ٨-١٠]. وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٢-١١٣].

فكم من أمةٍ، وكم من قريةٍ كانت في سعةٍ من الرزق ورغدٍ من العيش وسلامة في الأبدان وأمنٍ في الأوطان، فحادت عن طريق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فحلَّ عليها العذاب، ونزل بها العقاب، وتبدلت الأحوال، وضُرِبت مثلاً للحاضر والباد.

وها هم قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أول أمة كفرت بعد عشرة قرون من عهد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال الله في شأنهم: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: ٣٧].

وها هي قبيلة عاد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد، قوم هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، منَّ الله عليهم بطولٍ في الأجسام وسلامة الأبدان وسعة الأرزاق، فاستكبروا وتعالوا على الله وعلى خلقه، فكانت العاقبة ما قصه الله سبحانه بقوله: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٥-١٦]. وسلط الله على هذه القبيلة الطاغية الباغية الريح العقيم كما قال سبحانه: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤١-٤٢].

وكذلك فرعون الظالم الذي طغى وبغى، وكان له ملك مصر، والأنهار كانت تجري من تحته، مُنَعَّمًا في الكنوز والمقام الكريم، فاستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق، وتعالى وتكبر وتجبر، وقال لأهل مصر: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢]، بل تطاول وتعاظم ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، ذبح الأطفال، وشرَّد الرجال، استحيا النساء وسخرهن، ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٥- ١٣٧].

بل إن القرآن الكريم بيَّن لنا أن الله سبحانه أجرى هذه السُّنَّة على أمم وشعوب أُخذت بأكملها، وتحولت النعم عليهم إلى نقم، كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وليس هذا على مستوى الأمم والشعوب فحسب، بل على مستوى الجماعات، والأفراد كذلك. فها هم أصحاب الحديقة والبستان الذين بيَّتوا الشر والبخل، وأقسموا ليصرمُّنها مصبحين ولا يستثنون، وتآمروا لمنع الفقير والمحتاج حقه، ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٩-٢٠].

فهذه هي عواقب المعاصي والظلم والشر والفساد، ها هي العواقب الوخيمة والشرور الجسيمة للذنوب والمعاصي، كما قال تعالى في غير ما آية من كتابه العزيز: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [غافر: ٢١]، ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٤]، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا

لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦].

والآيات في ذلك كثيرة جداً، يجمعها قوله تعالى في هذه الآية الجامعة: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وقد يكون الهلاك بتسليط جنود الله الكونية، مثل هذه الميكروبات والفيروسات على أجساد العصاة، فيصيبهم من الآفات ما الله به عليم.

٣. ما جاء في السنة النبوية من هلاك الأمم بالمعاصي:

إن للمعاصي آثاراً سيئة على مرتكبيها في أنفسهم وأبدانهم، بما يصابون به من المسخ والأوجاع والأسقام والأمراض، وقد تكون العقوبات أوجاعاً ظاهرة، وقد تكون أوجاعاً نفسية، فأما الظاهرة فقد تكون بسبب عقوبة شرعية حدية، أي بالحدود والتعزيرات كقطع يد السارق، وجلد شارب الخمر، ورجم الزاني، ونحو ذلك، وقد تكون عقوبة قدرية في بدنه، فقد تكون على شكل مسخ كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف))[1]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر - أي: الزنا - والحرير))، ثم قال: ((يمسخ منهم آخرون قردة وخنازير إلى يوم القيامة))، فهذا مسخ حقيقي سيحدث بسبب المعاصي، فيصبح هؤلاء وقد مسخهم الله قردة وخنازير، فيراهم الناس في صباح ذات يوم قردة وخنازير، فهذه عقوبة حسية جسدية بالمسخ.

وقد تكون بتسليط جنود الله الكونية، مثل هذه الميكروبات والفيروسات على أجساد العصاة، فيصيبهم من الآفات ما الله به عليم، جاء في سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يا معشر المهاجرين، خمسُ خصالٍ أعوذ بالله أن تدْركوهن: ما ظهرتِ الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلَّا ابتُلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قومٌ المكيالَ والميزان إلا ابتُلوا بالسنين وشدَّة المؤنة وجَور السلطان، وما منع قومٌ زكاةَ أموالهم إلَّ مُنعوا القطرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمطروا، ولا خفَر قومٌ العهدَ إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تعملْ أئمتُهم بما أنزل الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم))[2].

ولما فُتحت قُبرص بَكى أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقيل له: ما يبكيك في يوم أعزَّ

(١) رواه الترمذي، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والبيهقي في الشعب (٣/١٩٧)، وصححه الحاكم (٤/٥٤٠)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١٠٦).

الله فيه الإسلامَ وأهله؟ فقال: ((ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملكُ تركوا أمرَ الله فصاروا إلى ما ترى))[1].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهادَ سلَّط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم))[2]، ولذا كان من دعاء بعض السلف: «اللهم أعزَّني بطاعتك، ولا تذلَّني بمعصيتك».

ومن آثار الذنوب والمعاصي على البلاد والعباد أنها تُحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في الماء والهواء والزروع والثمار والمساكن وغيرها، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]، والمراد بالفساد في الآية النقصُ والشرور والآلام التي تحدث في الأرض عند معاصي العباد، فكلَّما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة، قال بعض السلف: «كلَّما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبةً»، قال مجاهد: «إذا ولي الظالمُ وسعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطرَ، حتى يهلك الحرثُ والنسل»، ثم قرأ هذه الآية، ثم قال: «أما والله، ما هو ببحركم هذا، ولكن كلَّ قرية على ماءٍ جارٍ فهو بحر»[3]، وبمثله قال غيره من المفسرين.

ومن آثار المعاصي على العباد تسلُّطُ الأعداء وتمكُّن الأشرار من الأخيار، فقد جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((والذي

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/٦٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢١٧)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/٣٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٤٢، ٨٤)، وأبو داود في البيوع (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه ابن القطان كما في التلخيص الحبير (٣/١٩)، وقوّاه ابن القيم في تعليقه على سنن أبي داود (٥/١٠٤)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١١).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/٤٩).

نفسي بيده، لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعثَ عليكم عذاباً من عنده، ثم تدعونَه فلا يُستجاب لكم))[1].

ومن أسباب نزول البلاء إظهار ضعف الدنيا وهوانها وسرعة زوالها، وكبح جماح الطمع والجشع واللهث وراءها، فإذا رأينا زوال بعضها من أموال وأنفس وزروع فزوالها جميعها كذلك، لأن الدنيا أجزاء وأبضاع، فإذا أمكن زوال بعضها أمكن زوالها كلها.

٤. خاتمة:

إن المتمعن في النصوص السابقة يتبين له بما لا يدع مجالاً للشك، أن طاعة الله تعالى والعمل بشريعته سبب كل خير، وأن المعاصي سبب كل شر، فلا مناص لأمم الأرض عامة، والمسلمين خاصة، إلا الرجوع إلى الله تعالى، واتباع أحكامه. ومن الناس من تنزل به المصيبة رحمة به ليرجع إلى ربه، فقد روى ابن جرير عَن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١] قال: «هي المصائب»[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام: ٤٢].

ومن أسباب نزول البلاء إظهار ضعف الدنيا وهوانها وسرعة زوالها، وكبح جماح الطمع والجشع واللهث وراءها، فإذا رأينا زوال بعضها من أموال وأنفس وزروع فزوالها جميعها كذلك، لأن الدنيا أجزاء وأبضاع، فإذا أمكن زوال بعضها أمكن زوالها كلها، ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣].

والله سبحانه يُقدِّر علينا المصائب تأديباً لنا لنرجع لدينه ونتوب ونتعظ، قال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزخرف: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

ومن أسباب دفع البلاء والمصائب التضرُّعُ إلى الله تعالى عند وقوع المصيبة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام:

(١) أخرجه الترمذي في الفتن (٢١٦٩) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٦٢).

(٢) راجع: تفسير ابن جرير الطبري، سورة السجدة الآية ٢١.

٤٢-٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وعن أمِّ المؤمنين عائشةَ بنت الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: «خسَفتِ الشمسُ في عهدِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلى بالناس...، وانجلَتِ الشمسُ قبل أن ينصرِفَ، ثم قام فخطَب الناس، فأثنى على الله بما هو أهلُه، ثم قال: ((إن الشمس والقمر آيتانِ مِن آيات الله، لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتُموهما فافزَعوا للصلاة))» [متفق عليه][1].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فإذا رأيتموها فافزَعوا للصلاة))، وفي رواية: ((فصلُّوا حتى يُفرِّج اللهُ عنكم))، معناه: بادِرُوا بالصلاة وأسرِعوا إليها؛ حتى يزولَ عنكم هذا العارضُ الذي يُخافُ كونُه مُقدِّمةَ عذابٍ».

والاستغفار مِن أهم أسباب دفع البلاء، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أمانانِ كانا على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رُفع أحدهما وبقي الآخر: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]» [أخرجه أحمد][2].

(١) رواه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).
(٢) أخرجه أحمد (٣٢/ ٢٦٤، ١٩٥٠٦) قال شيخنا شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره. أما

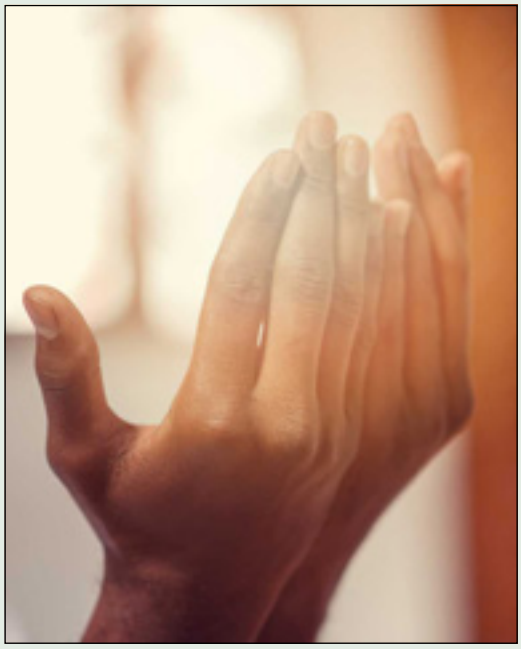

وبالجملة، فطاعة الله تعالى سبب لكل خير كما أن معصيته والتمرد عليه سبب كل شر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥].

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

ما روي عن سبب نزول الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ جاء عن أبي بردة ابن أبي موسى، عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ((أنزل الله على أمانين لأمتي: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة). فهذا الحديث ضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الأحاديث الضعيفة رقم (١٦٩٠)، وفي ضعيف الترمذي رقم (٥٩٧)، وفي ضعيف الجامع رقم (١٣٤٣).

بيّنات

سياسات النشر في المجلة:

تُقبل المقالات في المجلة بعد العرض على هيئة التحرير إذا استوفت الشروط التالية:

(١) ألا يكون البحث أو المقال قد سبق نشره، أو قُدّم لأية جهة أخرى من أجل النشر.

(٢) أن تكون البحوث والمقالات متسمة بالعمق والأصالة وحسن الأسلوب ووضوحه، والسلامة من الأخطاء اللغوية والنحوية، وأن يضيف نشرها جديداً إلى المعرفة.

(٣) أن تكون البحوث والمقالات موثقة من الناحية العلمية بالمراجع والمصادر والوثائق، وتوضع الهوامش في أسفل كل صفحة.

(٤) لا تدفع المجلة مكافآت ولا تتقاضى أية مبالغ مقابل البحوث أو المقالات المنشورة أو أي أعمال فكرية ما لم تكن بتكليف.

(٥) أن لا يتجاوز البحث أو المقال سبع صفحات (١٠٠٠) كلمة، ولا يقل عن ثلاث صفحات (٤٥٠) كلمة (بمقاس ورقة A4).

bayyinatre@gmail.com